الحوار والتلاقى
(بين الرائيات الغزلية)

وتتنوع درجات المعارضة تبعا لإدراك الشاعر طبيعة ما يرمى إليه من ورائها ، فربما دفعته التجربة والواقع النفسى إلى البحث عن نظير لموقفه ، وعندئذ يمكن تلمس تلك المعارضة من هذه الزاوية بالتحديد ، ففيها تَبينُ طبائع التجارب ، وتتكشف ملامحها ، وتظهر درجات التشابه التى تنعكس فى الصور الشعرية المختلفة ، إذ ربما بدت المعارضة واردة فى أضيق الحدود ، مما يجعلها أقرب إلى أنماط المعالجة الشكلية ، بصرف النظر عن نوعية التجربة ، أو حتى طبيعة الانتماء إلى مدرسة بعينها ، أو الانحراط فى مساق اتجاه بذاته ، على النحو الذى يرويه أبو الفرج عن معارضة وقعت بين جميل وعمر ، وهى تبدو غريبة - حقاً - إذا ما تأملنا - مبدئيا - تباين انتماء الشاعرَيْن إلى عالم الغزل ومدارسه ، ولكنه انتماء ينتهى إلى انفصال مؤكد بينهما ، تكشفه أساليب المدرسة العُمَرية الحضارية التى مالت إلى اللهو فى غزلها ، وبين اتجاه الشاعر العذرى الذى حصر تجاربه فى إطار من التبدىّ والقبلية والانصياع للقيود الاجتماعية المفروضة عليه ، والاستسلام لقصة الحب الفاشلة التى غلبت أيضا على شعراء مدرسته ، ومع هذا يروى أبو الفرج ما جاء عن عمر وجميل وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل قصيدته التى يقول فيها :

لقدَ فرِحَ الواشُون أن صرَمَتْ حَبْلـى ... بثينةُ أو أبدَتْ لنا جانبَ البُخْـل
يقولون : مهلاً يا جميلُ وإننـى ... لأُقْسِمُ مالى عن بثينةَ من مَهْـل

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب : هل قلت فى هذا الرويّ شيئا ، فقال : نعم ، قال فأنشدنيه ، فأنشده قوله :

جرىَ ناصحٌ بالود بَيْنى وبَيْنهَـا ... فقرَّبنى يوم الحصاب إلى قَتْلـى

ثم يورد أبو الفرج عدداً من أبيات القصيدتين دون أن تكتملا لبنهى الرواية بقول جميل : هيهات يا أبا الخطاب : لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالى (آخرها) ، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمِّراً .. إذ لا شك أن موقف الشاعر هنا يكاد يصوغ شروطا